الرّافد مجلة شهرية ثقافية تصدر عن دائرة الثقافة والإعلام - حكومة الشارقة





القصاصون المغاربة الجدد

وسؤال الإسهام في مناقشة الشأن العام

إعداد: هشام حراك

منذ ما سبق حصول المغرب على الاستقلال عام ١٩٥٦، ورواد ورموز القصة المغربية يلحون على الخوض في الشأن العام: شأن الاستقلال مع البدايات الأولى لتشكل ملامح القصة المغربية المناهضة للاستعمار ونخص بالتحديد هنا: المؤسس الفعلي للقصة المغربية القصيرة عبد المجيد بن جلون في شخص مجموعته القصصية الرائعة والمناضلة لأجل تحرر الإنسان المغربي: «وادي الدماء»... ثم، فيما بعد الاستقلال مع مجموعة من الأقلام القصصية المناضلة لأجل التأسيس للحرية والتنمية والديمقراطية وحقوق الإنسان، وبالتالي لبناء الدولة المغربية الحديثة مع أسماء بصمت تاريخ القصة المغربية، بل والعالمية، من قبيل محمد زفزاف ومحمد شكري وعبد الجبار السحيمي والطاهر بن جلون وإدريس الشرايبي وغيرهم... وصولاً إلى الجيل القصصي المغربي الجديد، الجيل المخضرم بين الألفيتين: الثانية والثالثة: جيل التسعينيات، تحديداً، جيل الأزمات والانتكاسات الاجتماعية والسياسية المتلاحقة.. وجيل ظهور موجة التجريب حيث الدعوة مركزة على الانكفاء على الذات.. لكن: من داخل هذا الجيل القصصي الجديد توجد أسماء قصصية جميلة لا تزال تؤمن بجدوى الكتابة والالتزام بالشأن العام، قصدنا بعضاً منها بخصوص سؤال القصة الجديدة وسؤال الانخراط في هذا الشأن، فكان لنا جميعاً هذا الملف.

القاصة: زهرة رميج

اهتمام المبدع بالشأن الخاص على حساب الشأن العام

سيكرس واقع التخلف وسيعيدنا إلى عصور الانحطاط


زهرة رميج

الأدب ابن بيئته كما يقال. فهو يعكس واقع المجتمع في حركته وسكونه وفي توهجه وانطفائه. ومن هنا، يأتي الفرق بين كتاب مرحلة الستينيات والسبعينيات ومرحلة ما بعد الثمانينيات.

لقد كانت المرحلة الأولى كما هو معلوم، مرحلة المد الثوري في العالم كله، بما فيه العالم العربي. وكانت درجة الوعي السياسي عالية والنظرة إلى العالم شمولية إلى أقصى حد. كان الكاتب بناء على ذلك، لا يرى نفسه ذاتاً فردية معزولة عن واقعها العام، وإنما جزءاً لا يتجزأ من واقع لا بد له من الإسهام في تغييره. لقد تأثر كتاب الستينيات والسبعينيات بالكتابة الملتزمة التي تفرض على الكاتب أن يكون منخرطاً أو على الأقل متعاطفاً مع تيارات سياسية تقدمية مناهضة للسلطة المهيمنة، وبالتالي أن يكون مهتماً بالضرورة، بالشأن العام.

وكان مفهوم الكتابة آنذاك، منسجماً مع هذا التوجه. فـ«الفن من أجل المجتمع» كان له التأثير الأقوى الذي لم يكن تيار ما يسمى بـ«الفن من أجل الفن» ليحظى به في مثل تلك الظروف وهو يهدف إلى التعبير الجمالي المحض خارج علاقة هذا الجمال بالواقع.

كان الفكر الاشتراكي مهيمناً، ومعظم الكتاب يؤمنون به ويسعون من خلال كتاباتهم إلى إبراز التناقضات الاجتماعية والصراع الطبقي وتصوير واقع الطبقة العاملة والفئات المهمشة المسحوقة. وكان الكتاب قصاصين كانوا أو روائيين أو شعراء يرفعون أصواتهم عالياً ويندِّدون بما يحدث في المجتمع ويتخذون المواقف التي تثير الجدل على الساحة الثقافية والساحة السياسية.

لقد تربى هؤلاء الكتاب على رفع الصوت والإجهار بالرأي واتخاذ المواقف سواء في شكل نصوص إبداعية أو مقالات أو عبر الحوارات. وكانت ميزتهم الأساسية الصراع مع السلطة التي تحد من حرية الإبداع وتقمع كل الأصوات المناهضة للفساد السياسي والاجتماعي. وهذا ما عرض الكثيرين منهم للاعتقال والنفي.

على الطرف النقيض للسلطة ليحافظ على استقلاليته وقدرته على ممارسة دور الكاتب الحق الذي يوظف قلمه لتعرية الواقع وملامسة الجراح بمختلف أنواعها.

لكن، مع سقوط جدار برلين وتفكك الاتحاد السوفييتي وهيمنة القطب الواحد ممثلاً في النظام الرأسمالي تحت ما يسمى اليوم العولمة، انكسرت الأحلام المجنحة وسقط «النموذج». وما يعيشه العالم العربي منذ أوائل التسعينيات من انكسارات متتابعة في العراق وفلسطين، ومن مد أصولي متطرف اكتسح الساحة السياسية والاجتماعية، جعل

كتاب هذه المرحلة يعكسون هذه الهزائم بالانغلاق على الذات الفردية والغوص في أعماقها. وأصبح السعي وراء المعنى في الكتابة مثار سخرية من طرف الكثيرين إما لكونها أصبحت موضة متجاوزة في رأي بعض الكتاب بمن فيهم كتاب من تلك المرحلة نفسها، أو لكون العالم الذي نعيشه أصبح خالياً من أي معنى ومن أي وضوح في الرؤيا لاختلاط كل الأوراق. (وهنا أذكر ما قاله الكاتب إميل حبيبي بعد سقوط الاتحاد السوفييتي: «لم يعد هناك ما يقال». دلالة على الصدمة العنيفة التي عاشها كتاب تلك المرحلة).

لقد بدا لجيل ما بعد الثمانينيات، لا جدوى الخوض في الشأن العام ولاجدوى الكتابة عن المجتمع وقضاياه الجوهرية نظراً للإحباط واليأس الذي عم العالم العربي ولا يزال. فصوت الكاتب لا يمكنه أن يسمع في ظل أصوات المدافع والقنابل وكل أسلحة الدمار الحديثة. وهذا التمزق الذي يعيشه الكاتب انعكس بالضرورة، على كتاباته ومواقفه بحيث لم تعد كتاباته تعكس الهموم العامة ولم يعد صوته يسمع. لقد أصبح يسير «جنب الحائط» كما يقول المثل المصري ولا يرى شيئاً غير ظله.

ولكن دور الكاتب، في اعتقادي الخاص، يظل هو هو لا يتغير بتغير الزمان والمكان. فالكاتب بحكم ثقافته ووعيه الحاد، ليس إنساناً عادياً، ومن المفروض أن تكون نظرته شمولية وأن لا ينحصر اهتمامه فقط بذاته الخاصة وإنما يرتقي بهذه الذات لتلتقي وتنصهر في ذوات أخرى. وأن يسلط ولو بصيصاً من النور على ما يحدث من حوله وأن يتصدى بما يملكه من وسائل بسيطة – ولكنها فاعلة ولو على المدى البعيد – لجحافل الجهل والظلام التي تكتسح مجتمعنا وتجعله يتراجع إلى الوراء عشرات السنين.

إن اهتمام المبدع بالشأن الخاص على حساب الشأن العام سيكرس واقع التخلف وسيعيدنا إلى عصور الانحطاط التي لاحت تباشيرها في الأفق. ذلك أن دور الكاتب كما يبدو لي، دور فعال وتأثيره أكبر بكثير من تأثير السياسي لما يتميز به من قوالب جمالية مثيرة تزداد إثارتها بعمق التجربة الحياتية واتساع أفق الرؤيا.

وفي الختام، أستند إلى نظرية فرويد في رؤيته للأديب على أنه إنسان «غير سوي» بالمعنى الإيجابي للكلمة. أي أنه مريض بالوعي وبهم التغيير وأنه لا يستعيد توازنه إلا من خلال رؤيته الجديدة للعالم. وبذلك، تكون الكتابة في عمقها، أداة لتغيير الواقع الذي يضغط بكلكله على وجدان المبدع. ولا يتحقق ذلك أبداً، مع اللامبالاة بالشأن العام والغرق الكلي في الشأن الخاص.

القاص مصطفى لغتيري

الأمر مشروط بظروفه الاجتماعية والسياسية



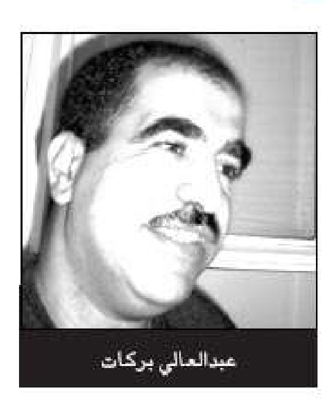
مصطفى لغتيري

أظن أن الأمر ليس مستغرباً تماماً، لأن هذا الجيل عاش على إيقاع انطفاء جذوة الحماس للأفكار والإيديولوجيات الكبرى، فسقوط الاتحاد السوفييتي واستئساد الرأسمالية بعدما ارتدت أزياء العولمة، وتراجع دور اليسار على المستوى الوطني، وانتصار المخزن بالضربة القاضية.. كل ذلك أدى إلى انكماش الأديب على ذاته، واهتمامه بنصوصه.. إذن فالأمر مشروط بظروفه الاجتماعية والسياسية.

ومع ذلك فإنني أتمنى أن يلتفت المبدعون إلى الشأن العام ليشكلوا قوة ضغط من أجل التغيير، فلا يعقل أن يظل الكتاب يتفرجون على وضعنا البائس، الذي لم يحسم في مسألة التحاقه بالركب العالمي، خاصة فيما يتعلق بالديمقراطية واحترام حقوق الإنسان، والتوزيع العادل للثروة.

القاص عبدالعالي بركات

الإسهام في مناقشة الشأن العام يأخذ أبعاداً مختلفة



عبدالعالي بركات

الإسهام في مناقشة الشأن العام يأخذ أبعاداً مختلفة ولكل مواطن لأن «القاص هو مواطن قبل كل شيء».. الكيفية التي ينخرط بها في العمل المرتبط بالشأن العام، صحيح أن نسبة كبيرة من المبدعين «قصاصين وشعراء وتشكيليين وغيرهم..» غير متحزبين، إلا أن هذا لا يعني أنهم ليسوا موجودين أو أنهم عدميون، لقد انتهى زمن المثقف العضوي. الجيل الجديد من المبدعين حاضر بإبداعاته وتلبيته لدعوات المشاركة في الأنشطة الثقافية، وهذا في حد ذاته عمل نضالي، وشخصياً ما زلت أؤمن بقدرة الإبداع على تغيير المجتمع، أكيد هناك إكراهات يواجهها النشاط الإبداعي، من قبيل، عدم التفرغ وأزمة النشر والعزوف عن القراءة والتهميش والإقصاء.. كل هذه العوامل وغيرها تؤدي إلى إحباط المبدع وبالتالي، فإن حضوره لا يبرز كما ينبغي، ولهذا يسود الاعتقاد أن هناك استقالة للمبدع عن الإسهام في مناقشة الشأن العام.

أنا أعتقد أن لفظ «استقالة» هو لفظ قاس شيئاً ما.

القاصة حسنة عدي

القصة القصيرة هي خطاب يومي لا خطاب مرحلي

القصة القصيرة هي خطاب يومي لا خطاب

مرحلي.. خطاب يسعى لبناء الإنسان في مختلف أبعاده الفكرية والروحية والجمالية، والقاص مسؤول عن تطور المجال الذي يبدع فيه، وهذا التطور يتطلب إلى جانب الموهبة وعياً عميقاً بالمواضيع المتطرق إليها، والتي هي نتاج تفاعلاته مع الوجود المحيط به بكل عاداته وتراثه وعقيدته وانتمائه السياسي والفكري...

فهو يكتب لا لكي يملأ فراغاً، أو يستجدي مدحاً مقنعاً بل ينبغي أن ينحت بالكلمة قطعة أدبية فنية تجمع بين الشكل والمضمون، أن يكتب بصوت الناس لا بصوته فقط، أن يحمل في داخله همومهم وانشغالاتهم وأحلامهم وانتظاراتهم من الحياة...

والملاحظ أن جيل الستينيات والسبعينيات ومجموعة من المبدعين المنتمين إلى جيل الثمانينيات انكبوا في كتاباتهم القصصية على الاهتمام بالشأن العام في حين نجد أنفسنا حالياً جيلاً من القصاصين المنغمسين في صياغة مواضيع ذاتية مكررة في قوالب جامدة، مبتعدين بذلك عن الخوض فيما يشغل الناس أكثر.

ربما ظروف العصر الراهنة هي السبب الرئيسي في إفراز هذا النوع من الكتابة: أي الكتابة عن الذات وما يتنابها من تكسات وانكسارات أو البوح بما يعتمل في دواخلها من مباهج الحياة.

فالمطلوب إذاً ألا يستسلم القاص لإغراءات الكتابة عن الذات حد التماهي، وألا يلغي ذاته أو يهمشها من أجل فسح المجال للخوض في الشأن العام الذي نفهم الحياة والإنسان من خلاله بشكل أفضل، ومن أجل ذلك فالقاص مطالب دوماً بإعادة تأهيل ذاته المبدعة حتى يتسنى له مواكبة عملية الانخراط في الحياة اليومية، ليُكسب محاور كتاباته القصصية التنوع المطلوب الذي يمكّنه من المحافظة على موقعه التفاعلي بين الشأنين معتمداً في كتاباته على حسه المرهف ووعيه العميق بذاته وبالحياة والناس والكون والطبيعة.


حسنة عدي — محمد الريحاني

القاص محمد سعيد الريحاني

الحاءات الثلاث

مع كل أفق مسدود، يبدأ التفكير والحلم بمسار مغاير وأفق أفضل. وهذه هي مهمة القصة: إعادة تشكيل العالم وإعادة تفسيره وإعادة تجديد الرؤية وإعادة رسم المجرى للحرية.. الانطلاق والركض... لأن القصة القصيرة تبقى بحثاً فنياً عن معنى الوجود وسعياً حثيثاً للإمساك باللحظة المنفلتة وإيقاف الصور والذكريات الهاربة أبداً وتخليدها.

إن القصة القصيرة شكل من أشكال التعبير والتغيير معاً. فالقصة القصيرة كلمة، والكلمة صورة، والصورة مشروع حياة. لذلك، فالكلمات والصور والأحلام تصبح أشياء واقعية حقيقية إذا ما واكبتها إرادة التحقيق والرغبة في الإنجاز. إن القصة القصيرة الواعية تفتح الخيال على نوافذ جديدة وتنتج عوالم جديدة وتشيع مُثلاً جديدة وقيماً جديدة... وهي في ذلك تسلك أحد السبيلين: «الصرخة» أو«الومضة».. «فالقصة-الصرخة» تفجر موقفاً سياسياً أو ثقافياً أو اجتماعياً معلناً وتشحذ الهمم وتعبئ القراء سعياً لتوسيع دائرة التأييد عبر قراءة نص «يفترض» أن يكون فنياً. و«القصة-الصرخة» هذه هي سليلة الأدب الملتزم والعمل الثوري والتعبئة الآنية للمعارك القريبة المدى باستهداف فئات عريضة من القراء وهو أحد النوعين الخالدين في التعبير القصصي لكنه ارتبط في تاريخ القصة المغربية بزمن القطبية الثنائية على المستوى الدولي وبقوى التغيير الاجتماعي والسياسي على المستوى الوطني.. وبانهيار جدار برلين، بدأ الإبداع المغربي يتداول مفاهيم سقوط الأوهام، سقوط الأقنعة، سقوط المعايير الجاهزة، سقوط... والتي لا تعني في نهاية المطاف غير سقوط الشكل القصصي الأول في تاريخ القص المغربي: «القصة - الصرخة» وهو ما يمكن اعتباره بداية لتبني شكل قصصي جديد: «القصة -الومضة».

تركز «القصة-الومضة» على «تصوير» لحظة هاربة ثم تضمنها المواقف والرؤى لإيقاظ القرارات في القارئ. والفارق بينها وبين «القصة-الصرخة» أنها تستهدف تغيير القارئ وليس التغيير بالقارئ. ولذلك فـ«القصة-الومضة» ليست سليلة العمل الثوري ولكنها سليلة العمل التدرجي....

لكن في الحالتين، تبتعد القصة القصيرة عن أن تكون «شكلاً خالصاً» مثل الموسيقى أو الرقص أو التشكيل. القصة القصيرة مضمون يعبر عن جوهره بشكله، أو هو شكل يعبر عن مظهره بجوهره. وما دامت القصة مضموناً فلا يمكنها أن تكون إلا ذات رسالة. والرسالة القصصية تدرجت في تطورها من الشكل الموضوعي المسرود بضمير الغائب والمرتب كرونولوجياً حول وقائع مألوفة على خلفية وعظ أو تعليم أو تحريض أو تشفٍّ... إلى الشكل الذاتي المسرود بضمير الأنا وغير المنضبط للترتيب الزمني حاصراً موضوع النص في «مضامين» و«إيحاءات» رسالة. والرسالة القصصية تدرجت في تطورها من الشكل الموضوعي المسرود بضمير الغائب والمرتب كرونولوجياً حول وقائع مألوفة على خلفية وعظ أو تعليم أو تحريض أو تشفٍّ... إلى الشكل الذاتي المسرود بضمير الأنا وغير المنضبط للترتيب الزمني حاصراً موضوع النص في «مضامين» و«إيحاءات» ذاتية غير مألوفة. إنه تطور من سيزيفية السعي لتفعيل الحق في المساهمة في ترشيد مسارات الشأن العام «الموصد» في وجه العموم نتيجة تعقد السبل والإرادات المؤدية إلى ذلك، إلى العودة للذات والغوص في أغوارها واكتشاف مكنوناتها واستنشاق قواها واستلهام طاقاتها في أفق انبعاث جديد يعدي بإشعاعاته السعيدة المحيط البئيس ويلهمه الطاقة على التجدد والبداية من جديد...

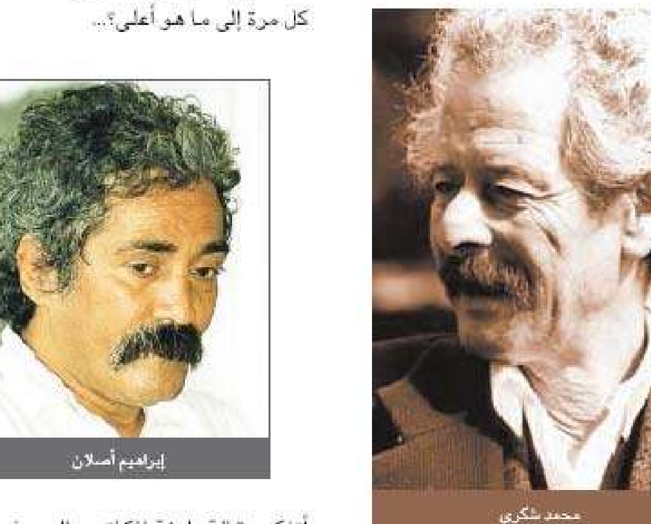
صحيح أن روح جيل كتابة القصة القصيرة في التسعينيات ما زالت حتى الساعة غير

واضحة نظراً لغياب تنظير فكري ونقدي يجمع شتات نصوص هذه الفترة (التسعينيات) من تاريخ القصة القصيرة في المغرب. ويشرفني أن أؤكد دائماً وأبداً نيتي في المساهمة في التأسيس لمدرسة مغربية في القصة القصيرة تجعل المغرب يحتل مكانته بين دول المغرب العربي كعاصمة للقصة القصيرة إلى جانب الجزائر عاصمة الرواية في المغرب العربي وتونس عاصمة الشعر.

ولأن التنظير هو حجر الزاوية نظراً لقيمته المرجعية في فهم كل إنتاج إبداعي، فقد أعلنّا عن إطلاق مشروع ترجمة القصة المغربية القصيرة إلى اللغة الإنجليزية تحت شعار «الحاءات الثلاث» على خلفية الطابوهات الثلاث (الدين والجنس والسياسة). وهذا المشروع الثلاثي الممتد على ثلاث سنوات يتوزع على ثلاث حاءات: حاء الحلم في «أنطولوجيا الحلم المغربي» (بمشاركة ١٥ كاتبة وكاتباً) وحاء الحب في أنطولوجيا الحب المغربي «(بمشاركة ٢٠ كاتبة وكاتباً) وحاء الحرية في «أنطولوجيا الحرية» (بمشاركة ١٥ كاتبة وكاتباً) سيمكن من ترجمة ٥٠ كاتبة وكاتباً مغربياً إلى اللغة الإنجليزية. ولكن الأهم هو دور المشروع في فتح آفاق جديدة لمضامين الكتابة القصصية في المغرب، آفاقا واعية بمسؤولياتها التاريخية في رفع سقف الحرية في الإبداع القصصي المغربي عن طريق جعل» الحاءات الثلاث«حاءات خضراء وليست حاءات حمراء. وقد وقفنا بأعيننا خلال توزيع النصوص المشاركة على شح عناية المبدع المغربي بالمضامين المرتبطة بـ «الحاءات الثلاث» وخصوصاً حاء الحلم وحاء الحرية كما يظهر ذلك عدد المشاركين في كل أنطولوجيا.

«الحاءات الثلاث» مشروع قصصي «نسقي متكامل وحر» أريد من خلاله مناهضة عيبنا الأول في عيوننا وعيون الآخر (الغرب): التجزيئية في التفكير. فالفكر العربي فكر غير نسقي فكر تجزيئي نما وترعرع بيننا نتيجة تغذيه على المنع التاريخي للفكر المنظم والتفكير الحر (الفلسفة) وهيمنة الرأي الواحد (السياسي والثقافي) الذي لا يسمح بتسق فكري متكامل ومغاير بجانبه. كما يناهض عيبنا الثاني في عيون العالم أجمع: غياب الحرية في التعبير.

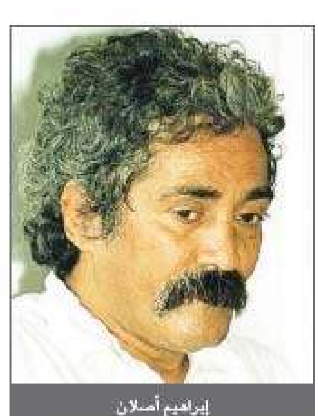
فإذا كان البعض يرى في الكتابة القصصية التسعينية استقالة من تناول الشأن العام، فربما اعتبر هذا المشروع القصصي الطموح، «الحاءات الثلاث»، محاولة في التأسيس لوعي قصصي جديد يتجاوز أعطاب الماضي الإبداعي لتجربة التسعينيات القصصية. ولعل أهمها هو اقتحام دوائر العتمة: دوائر المحظور...



محمد شكري

فقد عرف المغرب في العقود الماضية منع العديد من الكتب مثل: رواية محمد شكري «الخبز الحافي»، ورواية عبد القادر الشاوي «كان وأخواتها»، وكتاب فاطمة المرنيسي «الحريم السياسي: النبي والنساء»... وهو المنع الذي يستمد مرجعيته من اقتحام الدوائر المحرمة: الجنس والسياسة والدين.

الطريف أن الروائي المغربي الراحل محمد شكري يحكي أنه ذهب للاستفسار عن سبب منع روايته «الخبز الحافي» لدى الجهات المسؤولة فقيل له إنهم لم يمنعوا روايته، وهو ما يعني أن الرقابة أو المنع كانت في مرحلة سابقة «مطلباً جماهيرياً» في المغرب قبل أن تصبح أداة في يد الدولة لمراقبة وضبط الخطاب العام... لكن أخطر أنواع الرقابة التي على الجميع الوعي بها والعمل على التحرر منها هي «الرقابة الذاتية» وهي نتيجة عصور من الرقابة على الواجهتين الجماهيرية والنظامية على الذوات الفاعلة عبر التاريخ. أما اليوم، فإن كانت هناك مناطق محظورة اليوم على الكاتب المغربي فلا أحد يحظرها عليه غير نفسه. فإن وعى بها وتحرر منها أثار واستثار، وإن جهلها أعاد إنتاج البهرجة والتهريج واللعب بالألفاظ والتصنع المقيت المعروف في تاريخ أدبنا العربي. فما معنى الكتابة والإبداع عموماً إن لم تكن دعوة للحرية وإضاءة للمناطق المعتمة من حياتنا؟ ما معنى الكتابة إن لم تكن رفعاً لسقف الحرية كل مرة إلى ما هو أعلى؟...



إبراهيم أصلان

أتذكر مقالة بليغة للكاتب والصحفي المتفرد إبراهيم أصلان عنونها «نحن ما نقرؤه» وهي عبارة بليغة تحاكي المثل العربي المعروف: «كل إناء بما فيه ينضح». فإن كانت كتابات مبدعينا حرة عاشقة وحالمة، قرأنا معهم الحلم وتنفسنا معهم الحب والحرية؛ وإن كانت كتابات قصاصينا غير الحرية وغير الحب وغير الحلم، قرأنا معهم غير الحرية وتنفسنا معهم غير الحب وعشنا معهم بغير حلم.